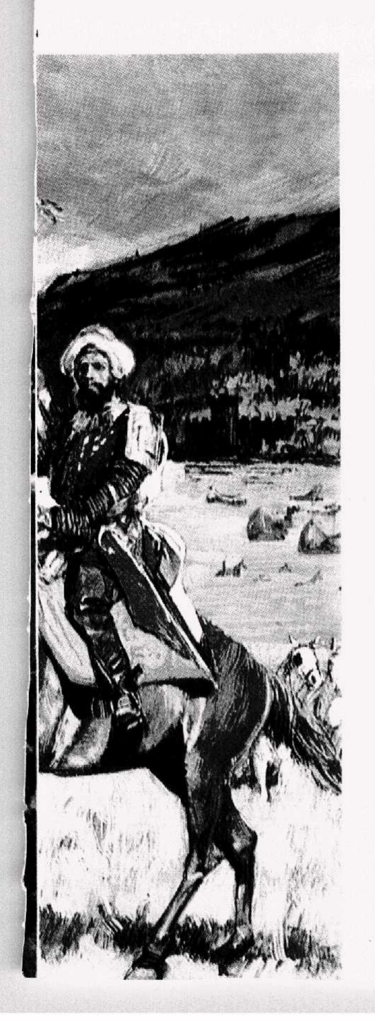
المعلومات المصورة للشباب

أمجاد الأندلس



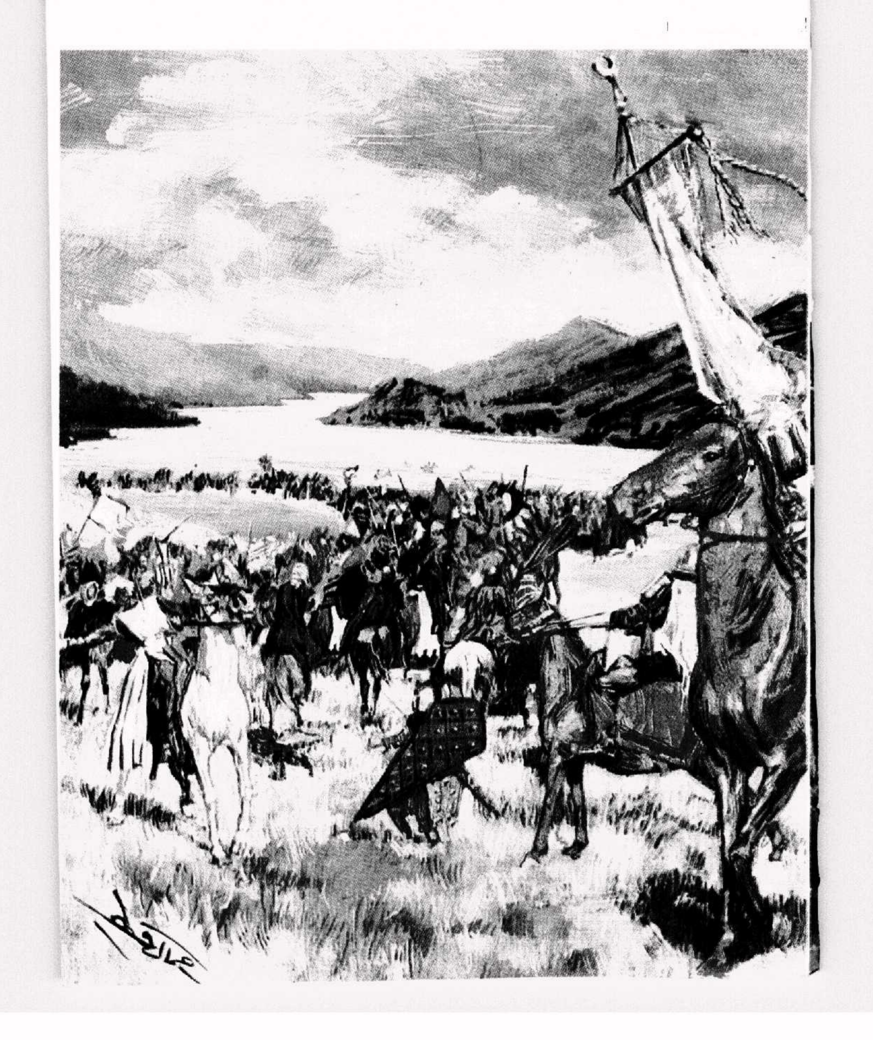
اللوحات والإعداد الفنى
جمال قطب

المادة العلمية
د . هبة جمال



كانت منارة الإسلام على بحر الظلمات ، وقبسًا روحيا تألقت إشعاعاته لتبعث صحوة كبرى فى عهود البداوة والتخلف الأوروبى فى العصور الوسطى .. هكذا كانت الأندلس فى مرحلة مجيدة من تاريخنا الحافل بأمجاد التحضر والعبقريات الفذة التى رفعت لواء التنوير العالمى والفكر الإنسانى الرفيع !

كأننا نسير فى ركاب طارق بين زياد وهو يعبر المضيق الفاصل بين أفريقيا وأوروبا فى العام الثانى والتسعين للهجرة .. ثم نعود لنرى موسى بن نصير وهو يعد العدة فى القيروان ، ويلحق بمن سبقوه إلى الأرض الإسبانية ..



فيتم الفتح ، وتتركز دعائم الحكم الإسلامى فى الأندلس .. ولنشهد مباحثات الفاتحين مع الأمراء الإسبان ، ويوقعون معاهدات التعايش فى ظل السماحة الإسلامية .. ونجوب الأقاليم مرتفعاتها ووديانها الخضراء فى زهو وكبرياء وقد فرض المسلمون سيطرتهم على جُل المملكة القوطية الجميلة بأنهارها العذبة وخمائلها الفيحاء ، تلك التى تغنى بها ابن خفاجة قائلا :

يا أهل أندلس للّه دركُمُ
ماء وظلٌ وأنهار وأشجارُ
ما جنة الخلد إلا فى دياركُمُ
ولو تخيّرتُ هذا كنت أختارُ
لا تختشوا بعدها أن تدخلوا سقرًا
فليس تُدخل بعد الجنة النارُ

ولنرجع إلى الشرق العربى فى الجانب الآخر لنشهد مأساة الأمويين على أيدى العباسيين .. وإذا ما تسللنا مع عبد الرحمن بن معاوية وهو يفر مع زوجته وابنه قاصدًا مصر فى طريقه إلى المغرب .. نراه هناك مترقبًا متحفزًا يتحين الفرصة ليعبر المضيق إلى الأندلس وقد دخل المسلمون دائرة

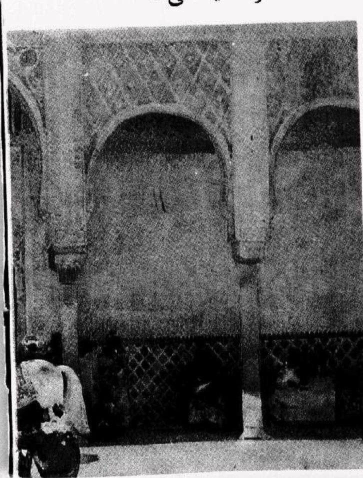


الصراع المعتاد مُهدرين الطاقات فى الشجار والتناحر بين الإخوة الأعداء من العرب والبربر ، فيجدها الأمير الأموى فرصة مواتية سنحت له ليباغت هذه الجماعات المتصارعة .. وينقض عبد الرحمن عليها وينفرد بالحكم والسلطان ! وينجح بأكثر مما كان يتوقع ؛ فقد لمّ الشمل ودانت له الأندلس ولُقّب بصقر قريش أو باسم عبد الرحمن الداخل لدخوله قرطبة فى العاشر من ذى الحجة عام ١٣٩ هجرية.

• ويحرص الأمير الأموى على أن يشيد جامع قرطبة الكبير على طراز المسجد الأموى بدمشق .. وهذا أمر طبيعى للأمير الذى طالما تغنى بوطنه الأصلى حتى وهو على قمة البلاط الأندلسى فى قرطبة ؛ فإذا ما رأى ركبا متجها إلى الشام أنشد يقول :

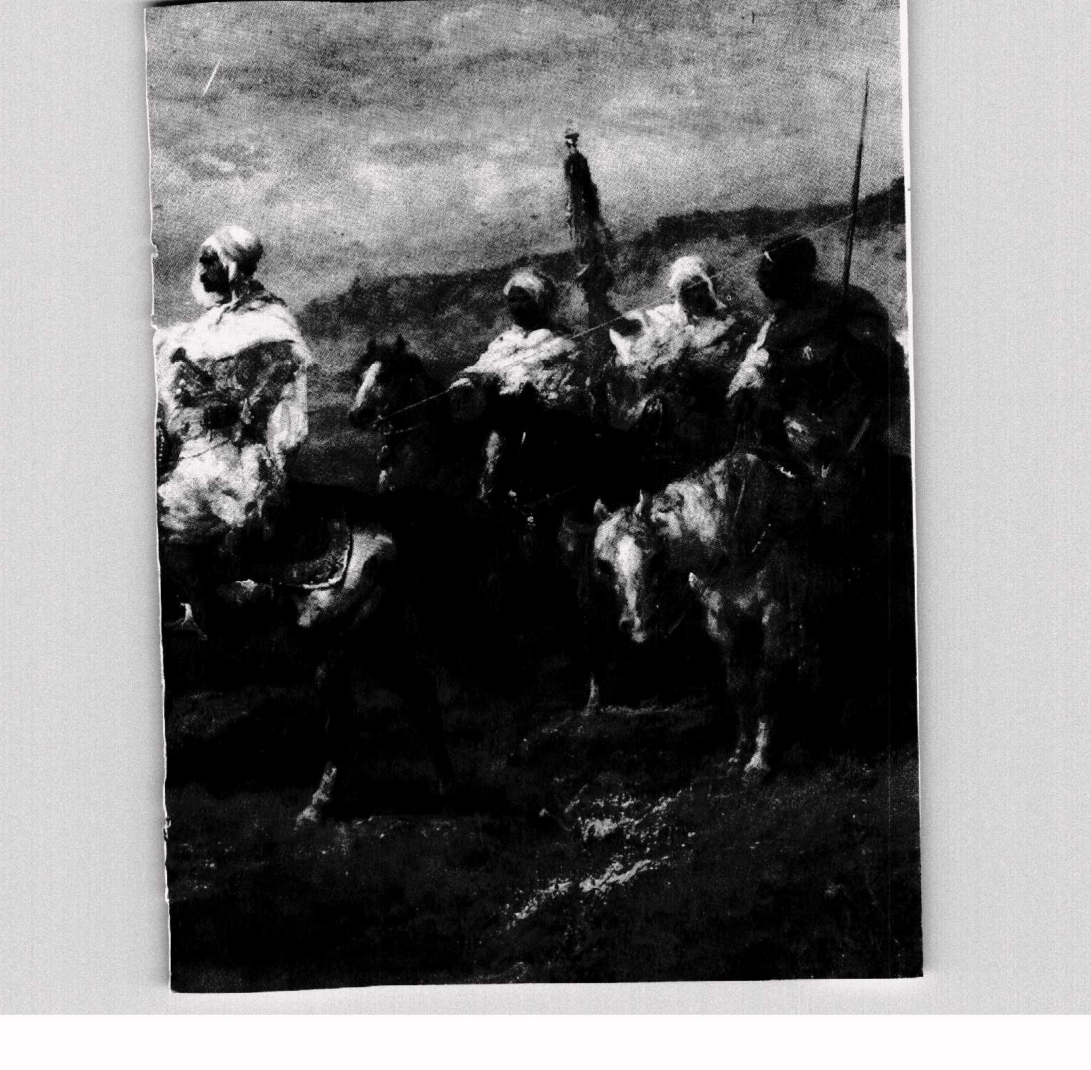
أيهـــا الركـــب الميمّـــم أرضى
إقـــر بعض السلام عنّى لبعضى
إن جســـمى كما تـــراه بـأرض
وفـــؤادى ومالكيـــــه بـأرض
قد قضـــى اللّه بالفـــراق علينا
فعسى باجتماعنا سوف يقضى !





.... وتتوالى الأحداث الجسام بعد موت عبد الرحمن الداخل ، ويتولى ابنه هشام ليقضى فترة حكمه فى جهد مستمر لإخماد الفتن .. ويخلفه عبد الرحمن الثانى ... ويعود الاستقرار مرة أخرى ، وتزدهر الحياة الأندلسية .. ويستمر الرخاء والازدهار حتى يصل إلى ذروته فى عهد عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر .. فيحيط بلاط الخلافة الأموية بهالة من الأبهة والعظمة والمهابة حتى صارت قرطبة فى عصره مركز الإشعاع والتحضر والثقافة والفنون والعلوم فى أوروبا كلها .. هكذا كان عهد عبد الرحمن الناصر وعهد ابنه « الحكم » من بعده .

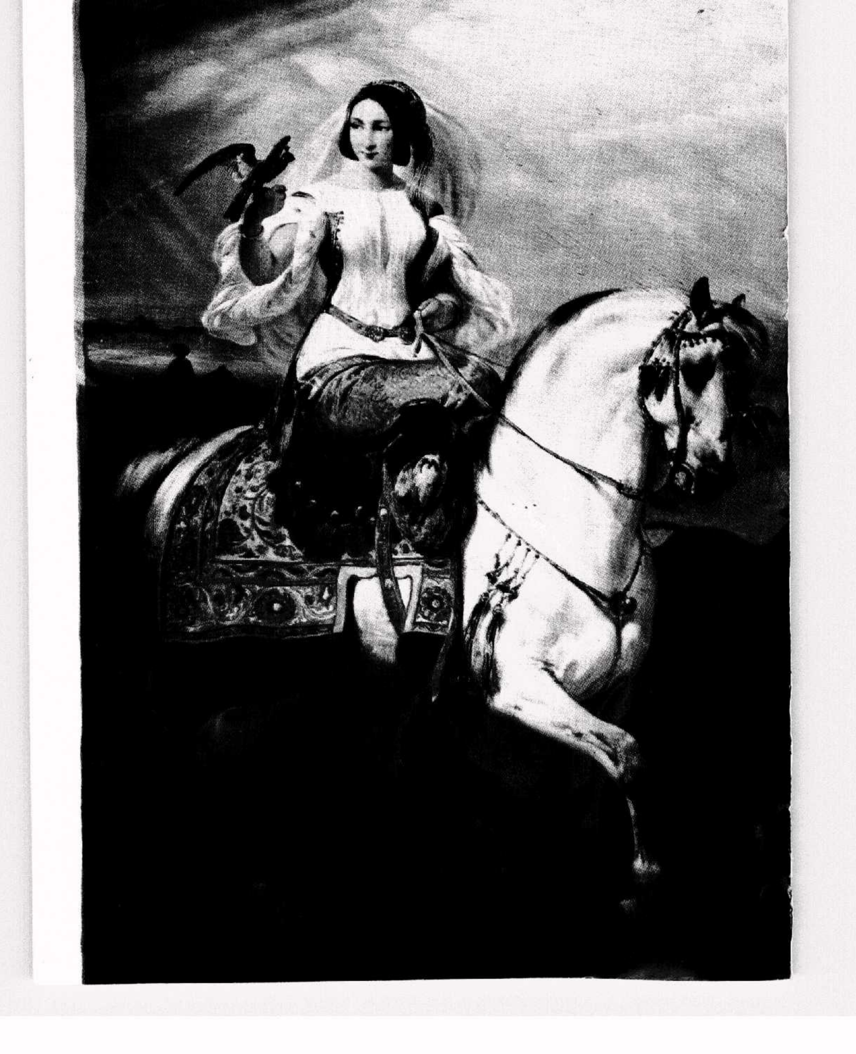






• وتداعت الأمور بعد ذلك فى عهد « ابن أبى عامر » الملقب بالمنصور ، وقد كان رئيسًا للشرطة فى عهد الحكم بن عبد الرحمن .. ولكنه استبد بأمور الدولة .. وبدلاً من أن يتولى الخلافة هشام الثانى بن الحكم ، قفز ابن أبى عامر إلى السلطة .. وازدادت المؤامرات والصراعات والفتن فى عهده ، ومن بعده هشام الثالث الذى قُتل فى عام ٤٢٢ هجرية .

.... ولننتقل إلى فترة جديدة من الحياة الأندلسية .. وهى المرحلة المغربية الإسبانية .. حيث تعايش فى أثنائها حكام الطوائف والمرابطين والموحدين ، وقد اختلطت العادات والتقاليد بين ضفتى المضيق أى بين المغرب والأندلس .. ومرت على البلاد فترات من الهدوء والاستقرار ، ازدهرت فيها منتديات الفن الساهرة السامرة ، تشجيها الألحان والموشحات الأندلسية الشهيرة .. ويتبارى الشعراء فتزخر غنائياتهم بهمسات الحب وأقاصيص الغرام .. ويتناقل الرواة أشعار ابن زيدون الملتهبة بحب ولاّدة بنت الخليفة المستكفى بالله (وهو الخليفة الأموى الذى لم يدم حكمه إلا عامين) ، فقد نُسبت إلى ولاّدة هذه الأبيات التى طرّزتها

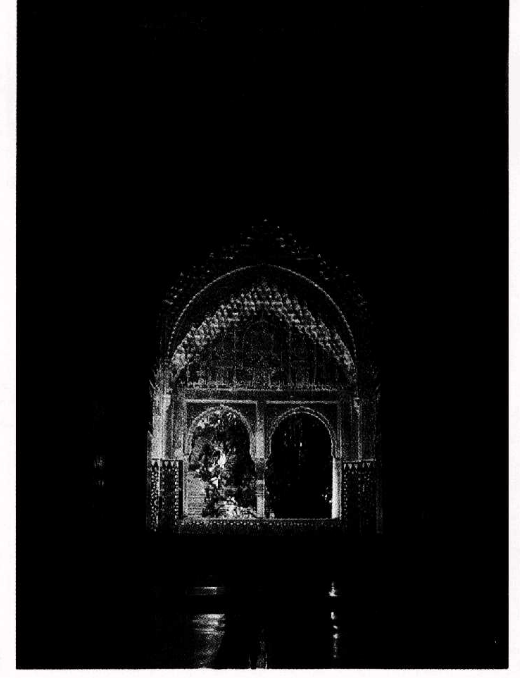


على عاتقى ثوبها والتى تبين مدى تحرر المرأة الأندلسية فى تلك العصور :

أنـا والله أصلـح للمعـالى
وأمشـى مشيـتى وأتيـه تيهـا
وأُمْكِن عاشقى من صحن خدّى
وأعطـى قبلتـى من يشتهيها !

• وتطول الحكايـات والمباريـات والمسـاجلات .. كمـا تتفشى السلبيات والمشاحنات حتى نصل إلى الفصل الأخير من العصر الإسلامى فى الأندلس .. بكل أمجاده وعبقرياته ونكباته كذلك .. فها نحن أولاء فى غرناطة ، وعلى أبواب قصور الحمراء المعجزة التى شيدها ملوك بنى نصر ، وفى فجر اليوم الثانى من ينـاير عـام **١٤٩٢** ميلادية ، كانت النهاية :

خرج الملك الشاب محمد أبـو عبـد اللّـه. آخـر حكـام المسـلمين ومـن حولـه حاشيته وأفـراد عائلتـه ، ثـم توقـف الركب عند المكان الذى حُدّد له ليسلم مفاتيح غرناطـة إلى الملكة إيزابيلـلا وزوجهـا فردينـاند ، وقـد أتيـا فـى موكـب ملكى مهيب يُكلله زهو التفوق وخيلاء الانتصار ، ويلقـى عبد اللّه نظرة أخيرة حسيرة كسيرة على قصره الذى يلفـه ضباب الصباح الباكر الحزيـن ، وتفيـض عينـاه بـالدموع ،



فتنهره أمه التى تصنعت رباطة الجأش فى ذلك الموقف العصيب وتنشد قائلة :

إبك مثل النساء مُلْكا مُضاعًا

لم تحافظ عليه مثل الرجال !

.... وهكذا طويت آخر الصفحات فى سجل الأندلس .. بعد ثمانية قرون من الأمجاد العربية الإسلامية على الأرض الإسبانية !





رقم الإيداع ٥٢٢٩ / ٩٨
الترقيم الدولى : 5 - 1151 - 11 - 977

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة